ادب الحرب الوثائقي

تقدم لنا المجموعة القصصية التي كتبها حنا مينة ونجاح العطار شكلا جديدا من اشكال الممارسة الادبية . فقصص المجموعة هي محصلة لمحاولة الاقتراب من الحياة اليومية لحرب تشرين . وهذا واضح في مقدمة الكتاب . « وهذه الاحداث ، في القصص التي يضمها هذا الكتاب ، نتاج واقع وذات في آن ، واقع حرب تشرين التحريرية وذاتنا حيال هذه الحرب. الخامات من الاخرين، والصياغة منا ، تسجيلية في بعض سطورها ، وابتكارية في بعضها الاخر ، لكنها ، كلها ، امينة لما صار ، او مقصرة دونه أحيانا » .

الاطار الجامد والحركة الداخلية :

تقدم قصة الجبل التي كتبها حنا مينة ، اطارا عاما للقدرة على التسجيل والابتكار . فهو ينطلق من حادث حقيقي احتلال المرصد الاسرائيلي في جبل الشيخ . تبدأ القصة داخل اسلوبية مينة . القدرة على جمع العناصر الشعبية داخل اطار عام . فهو يبحث بين جنود الوحدة السورية عن اللحظة الانسانية . يتوقف طويلا عند القتال ، وعند الشكل الذي أخذته المعارك واقعيا . لكنه في الوقت نفسه، يحاول توحيد هذا الاطار الجامد الصارم داخل الحياة الداخلية للجنود . الذكريات ، والاحلام . لذلك تبدأ القصة بلوحة العنب : « كرامون نحن أبا عن جد ، وخمورنا مشهورة . بأيدينا نصنعها ، عندما ، في أواخر الصيف ، ينضج العنب . انه لا ينضج الا مرة في العام ، لكنه ينضج كل عام ، فيكون لنا معه موعد وعرس » . يشكل هذا الجو الداخلي الحميم خلفية الاطار العسكري الصارم الذي يصف بطولة الجنود وهم يقاتلون . غير ان هذا الوصف يصل الى تقريرية مباشرة ، تفقد هذا الاطار قدرته على التبلور داخل حالة جماعية في قلب المعارك العسكرية . فالاخلاص التاريخي يدفع بالمؤلفين بعيدا من البناء القصصي المتماسك ، ويغرق المجموعة بأسرها داخل اطارات عسكرية فنية ، لا تقدم سوى شهادة عادية للحرب الاخيرة.

الشهادة والتسجيل :

تقدم قصة نجاح العطار « عندما يقاتل الرجال.. ويغنون في ضوء القمر » ، مثالا على القصة التسجيلية في هذه المجموعة . لكن تسجيليتها استنطاقية ، أي انها نتيجة حوارات مع الطبيب والممرض والجنود الجرحى . لذلك تتركز حول الوصف ، وحول عقد المقارنات مع ظروف هزيمة حزيران . لذلك تأتي الشهادة ساخنة ، تتخلى من جميع الخلفيات والاطر ، لا تتوقف الا عند البطولة بمعناها المباشر. من هنا منشأ قدرتها على التسجيل وعجزها عن الشهادة . أي أنها تبقى ضمن الجو الساخن والعاطفي الذي جاء مع الحرب ، ولا تحاول استكشاف خلفيات هذا الجو ، فرحه ومأساويته في آن.أما بنية القصة القصيرة فتضمحل نهائيا . نحن أمام شكل يقترب من الريبورتاج الصحفي الجيد . يذهب الى المواقع ويقابل الناس ويسجل احاديثهم . أما اللحظات الانسانية الحقيقية التي تجري على ألسنة الجنود فانها تبقى بدون التقاط حقيقي . فحنا مينة ونجاح العطار يعملان على الخامة الانسانية وحدها . أي ان البناء القصصي هو آخر هموم هذه المجموعة ، لذلك تبقى الشهادات ، مجرد لحظات بحاجة الى اعادة انتاج، ضمن سياق أدبي آخر . أي ضمن بنية قصصية أكثر اقناعا . اننا حين نتوقف عند هذه النقطة ونشدد عليها انطلاقا من تثميننا للدور الذي يمكن ان يلعبه الادب في نقل الحياة الداخلية للحرب . لكننا هنا ، لا نزال أمام بدايات تسجيلية بحاجة الى المراجعة . أمام القصص الاخرى « الابتكارية » ، فانها مجرد لحظات انفعالية ، تتوقف أمام الموضوع دون أن تستطيع دخوله بشكل مقنع .

الكتابة الجماعية :

النقطة الاساسية في هذه المجموعة ، هي محاولة الشروع في كتابة قصة مشتركة . هذه الطريقة في الكتابة لا تزال غائبة ومستبعدة في ممارستنا الادبية. غير أننا حين نقرأ القصة الوحيدة المشتركة في هذه

---

* حنا مينة ونجاح العطار : **من يذكر تلك الايام** . منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق ــ ١٩٧٤ .